التَّفْسِير

في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله

تفسير الآية من القرآن الكريم أنموذجًا

إعداد

د. حمدان بن لافي بن جابر العنزي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك -

قسم الدراسات الإسلامية -جامعة الحدود الشمالية

At- Tafseer fi Khutab ash-Shaykh Abdullah ibn (Zaahim May Allaah have mercy upon him)

Tafseer al-Aayaah men al-Quraan al-Kareem Aonmodajan

Prepared by

Dr. Hamdaan ibn Laafi ibn Jaaber al-Enezi

PhD in Tafseer and Quraan – Islaamic Studies Department – Northern Border University

ملخص البحث

يهدف البحث إلى التعرف على موضوع التفسير في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله من خلال تفسير الآية من القرآن الكريم كأنموذج لخطب التفسير عند الشيخ رحمه الله.

واشتمل البحث على تمهيد فيه: ترجمة موجزة للشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله، وتعريف موجز بكتاب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد صلى الله عليه وسلم، للشيخ رحمه الله.

كما اشتمل البحث على مبحثين الأول في: موضوعات خطب تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله، والثاني في: طريقة تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

وقد بلغ عدد الخطب التي تناولها البحث (٤١) خطبة.

الكلمات المفتاحية

خطب الجمعة- التفسير- الشيخ عبدالله ابن زاحم

Abstract

The research aims to identify the subject of Tafseer (interpretation) in the Khutab of ash-Shaykh Abdullah ibn Zaahim through explanations of the verse from the Holy Qur'an as a model for ash-Shaykh Abdullah from Khutab

The research included an introduction: a brief definition for Sheikh Abdullah ibn Zaahim, and a brief introduction to the book "Al-Jama wa al-A'yaad Aolqeyat ala Minber of Khair al-Eebaad Sala Allaah Aaleyah wa Salam" by him .

The research has two topics

1- Themes of Khutab in explanations the verse of Shayikh Abdullah ibn Zaahim Khutab.

2- The method of explanation the verse from the Holy Quraan in Shayikh Abdullah ibn Zaahim Khutab Number of Khutab are 41.

Key Words

Khutab al-Juma'ah – At-Taseer – Ash-Shaykh Abdullah ibn Zaahim

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام رب العالمين، فيه الهدى النور، حوى علوماً غزيرة، وهدايات عظيمة، وعظاتٍ بليغة؛ فتنافس المتنافسون في إبراز تلك العلوم والهدايات والعظات.

ومن الأمور التي أبرزت تلك الجوانب خطبة الجمعة؛ لأنها في أصلها قائمة على الوعظ والتذكير، وخير ما يوعظ به كلام الله تعالى.

وقد وفق الله بعض الخطباء للعناية بالقرآن الكريم من خلال تفسيره بأسلوب يناسب مقام الخطبة، ومن هؤلاء الخطباء الشيخ عبدالله ابن زاحم (ت١٤٢٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال الخطب التي ألقاها على منبر المسجد النبوي الشريف، ثم أفردها بالطباعة في مؤلف مستقل عنون له بـ: (خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد ﷺ)، وقد ذكر في مقدمة المجلد الثاني من هذه الخطب أنه يتكون من قسمين: الأول منهما: تفسير آيات من القرآن الكريم على أسلوب الخطابة[1].

وقد يسّرَ الله وَجَلَّ لي دراسة خطب التفسير في خطب الحرمين الشريفين في بحث مستقل بعنوان: "التفسير في الجمعة -خطب الحرمين الشريفين

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٧).

أنموذجًا-"[1]، ومن هؤلاء الخطباء الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله -، إلا أن البحث كان مقصورًا على دراسة مجالين من مجالات التفسير: هما تفسير السورة، وتفسير آيات من كتاب الله مجتمعة، وبقي مجال تفسير الآية من القرآن الكريم لم يتناوله البحث؛ لكثرة عدد الخطب فيه، حيث بلغ عدد الخطب فيه إحدى وأربعين(٤١) خطبة، يضاف إلى ذلك انفراد الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله - بهذا المجال من مجالات التفسير -أعني به مجال تفسير الآية من القرآن الكريم- عن بقية خطباء الحرمين الشريفين.

لذا رأيت الكتابة عن هذا الموضوع في هذا البحث المختصر الذي جعلت عنوانه "التفسير في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله: تفسير الآية من القرآن الكريم أنموذجًا".

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان.

أهداف البحث:

١- إبراز عناية الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله بهذا المجال من مجالات التفسير في خطب الجمعة.

٢- التعرف على موضوعات خطب تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

(١) محكم ومقبول للنشر في مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية.

٣- التعرف على طريقة الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في التفسير من خلال مجال تفسير الآية من القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

١- ما عناية الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله بهذا المجال من مجالات التفسير في خطب الجمعة؟

٢- ما موضوعات خطب تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله؟

٣- ما طريقة الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في التفسير من خلال مجال تفسير الآية من القرآن الكريم؟

الدراسات السابقة:

الدراسات التي عرضت لموضوع التفسير في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله دراستان أذكرهما، وأذكر الفرق بينهما وبين الدراسة التي أقوم بها:

الدراسة الأولى: "القضايا الدعوية في خطب الشيخ عبدالله بن زاحم رحمه الله في المسجد النبوي الشريف دراسة تحليلية"، للباحث: عبدالعزيز بن عبدالله ابن زاحم، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ.

فقد ذكر الباحث -وفقه الله-عند كلامه على المصادر الاستشهادية

(الاستدلالية) للقضايا الدعوية في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله، الاستشهاد (الاستدلال) بالقرآن الكريم، ومن صور هذا الاستشهاد: الاستشهاد بالآيات القرآنية ثم تفسيرها، قال: "وهذا كثير فقد أفرد الشيخ رحمه الله خطبًا كاملة في تفسير آيات القرآن الكريم، وقد جاءت عناوين بعض خطبه بتفسير الآيات أو تفسير السورة، ومن العناوين التي عنونها لخطبه: (تفسير الآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة، تفسير الآية ٣٦ من سورة النساء، تفسير سورة الهمزة)"[(١)].

واكتفى الباحث بهذه الإشارة فقط، وهي إشارة يسيرة، ولا زال المجال متاحًا لدراسة الخطب التي تناولت تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

الدراسة الثانية: "التفسير في الجمعة -خطب الحرمين الشريفين أنموذجًا"، للباحث: د. حمدان بن لافي العنزي، بحث محكم ومقبول للنشر في مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية.

وقد تناول البحث الخطب التي تناول فيها الخطباء تفسير سورة أو عدة آيات من القرآن الكريم، وخطباء الحرمين الذين تمت دراسة خطبهم في البحث هم: الشيخ عبدالله خياط رحمه الله من خلال كتابه الخطب في المسجد الحرام، والشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله، من خلال كتابه خطب الجمع والأعياد ألقيت

(١) ص(١٣٩).

على منبر خير العباد ﷺ، د. صالح بن عبدالله ابن حميد من خلال كتابه توجيهات وذكرى، و أ. د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، من خلال كتابه كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة.

وقد بلغت خطب التفسير التي تناولها البحث (٢٤) خطبة، (١٨) خطبة للشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله، و(٣) خطب للشيخ عبدالله خياط رحمه الله، وخطبتان، للشيخ صالح ابن حميد، وخطبة واحدة للشيخ عبدالرحمن السديس.

والفرق بين هذه الدراسة والدراسة التي أقوم بها:

أن هذه الدراسة تتناول الخطب التي تناول فيها الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله تفسير آية واحدة من القرآن الكريم، بينما الخطب التي تمت دراستها في الدراسة السابقة كانت مقصورة على دراسة مجالين من مجالات التفسير: هما تفسير السورة، وتفسير آيات من كتاب الله مجتمعة؛ يضاف إلى هذا أن الخطب التي سيتم دراستها لم تتكرر أي خطبة منها في الدراسة السابقة.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي.

خطة البحث:

قسمت البحث: إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية، على النحو الآتي:

- المقدمة: وتشتمل على: أهداف البحث، وأسئلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث، وإجراءات البحث.

- التمهيد: ويشتمل على ما يلي:

- أولًا: ترجمة موجزة للشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

- ثانيًا: تعريف موجز بكتاب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد ﷺ، للشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

- المبحث الأول: موضوعات خطب تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

- المبحث الثاني: طريقة تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

- الخاتمة.

- فهرس المصادر والمراجع.

إجراءات البحث:

وتتلخص بالآتي:

١- جمع خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في تفسير الآية من القرآن الكريم، وقد بلغت (٤١) خطبة.

٢- دراسة تلك الخطب، ومحاولة التعرف على طريقة الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في التفسير من خلال تلك الخطب.

٣- عزو الآيات وترقيمها.

٤- تخريج الأحاديث الواردة في البحث.

٥- ختم البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

٦- تزويد البحث بفهرس المصادر والمراجع.

التَّمْهِيد

أولًا: ترجمة موجزة للشيخ عبدالله ابن زاحم رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

هو الشيخ عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمَّد بن عبد الوهاب بن زاحم بن محمَّد بن حسن بن سلطان بن زاحم، يعود نسبه إلى آل فضل المرازيق، من قبيلة البقوم من الأزد القحطانية.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في قرية القصب من قرى اليمامة في الوشم في سنة ١٣٥٠هـ

وكان والده الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهاب حافظًا للقرآن الكريم، وإمامًا لمسجدٍ في البلدة، فتوسَّم في ابنه عبد الله خيرًا بحرصه على الطلب والتحصيل، وجَدَّ في تعليمه، وتلقينه مبادئ العلوم الأساسية، فأدخله الكُتَّاب عند الشَّيْخ عبد العزيز بن محمَّد المحارب، ثُمَّ عند المقرئ الشَّيْخ عبد العزيز بن علي بن عوجان، وحفَّظه أبوه القرآن الكريم من قصار المفصَّل، حتى وصل إلى سورة طه، ثُمَّ توفي والده الشَّيْخ محمَّد بن عبد الوهاب عام ١٣٦٢ هـ، وعُمْر الشَّيْخ عبد الله اثنا عشر عامًا، وأكمل حفظ القرآن الكريم فيما بعد.

ولمَّا توفي والده رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى -انتقل إلى رعاية عمه الشيخ عبدا لله بن عبد الوهاب في الرياض الذي كان رئيسًا للمحكمة الشرعية الكبرى هناك.

---

(١) هذه الترجمة ذكرها الشيخ عبدالقادر السندي في مقدمة الجزء الأول من خطب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ينظر: خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد(١/ ١١-١٣).

وفي عام ١٣٦٣ هـ انتقل عمه الشَّيْخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم إلى المدينة المنورة، وتولَّى رئاسة محاكم المدينة المنوَّرة والدوائر الشرعية بها، والتحق الشَّيْخ عبد الله بالمدرسة الناصرية الابتدائية، ثم التحق بوظيفة في المحكمة الكبرى بالمدينة، فعين مساعد كاتب ضبط في محكمة المدينة المنورة.

وفي هذه الأثناء كان يأخذ العلم مساء على مشايخ المدينة المنورة منهم: عمّه الشَّيْخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رَحِمَهُ اللَّهُ والشَّيْخ محمَّد الخيال -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى - في البيت، وعند الشَّيْخ عبد العزيز بن صالح بعد الفجر في المسجد النبوي الشريف، وعند الشَّيْخ عبد الرحمن الإفريقي في المسجد النبوي الشريف وفي دار الحديث.

وفي عام ١٣٧١هـ استقال من الوظيفة في المحكمة وطلب الالتحاق بالمعهد في الرياض، وتوجَّه إلى الرياض للدراسة، وكان يحضر دروس سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ في المسجد.

ومن مشايخه في الكلية والمعهد: الشَّيْخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، والشَّيْخ عبد الرزَّاق العفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ، والشَّيْخ عبد الرحمن بن عودان رَحِمَهُ اللَّهُ، والشَّيْخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رَحِمَهُ اللَّهُ، والشَّيْخ حمد الجاسر رَحِمَهُ اللَّهُ، والأستاذ عبد اللطيف سرحان، أخذ عنه في اللغة العربية.

وكان يعود إلى المدينة المنورة خلال العطلة الصيفية لملازمة علمائها والأخذ عنهم، وكان من أساتذته في التجويد الشيخ قاري عبدالرؤوف، والشيخ خليل الرحمن.

وفي هذه الأثناء كان يقرأ على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في التفسير وعلومه والمنطق والأصول.

وبعد تخرجه من المعهد العلمي التحق بكلية الشريعة بالرياض، وفي عام ١٣٧٨هـ تخرج من الكلية وأتم دراسته الجامعية.

وفي عام ١٣٧٩هـ عيّن مساعدًا لرئيس محكمة حائل، ثم رئيسًا لها ١٣٨٠هـ.

وفي عام ١٣٩٠هـ عاد إلى المدينة المنوَّرة، وكلِّف بعمل مساعد لرئيس محاكم المدينة المنورة.

وفي عام ١٣٩١هـ عين إمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي.

ثُمَّ عُيّن رئيسًا لمحاكم منطقة المدينة المنوَّرة عام ١٤١٦هـ بعد وفاة رئيسها السابق الشيخ عبد العزيز بن صالح، وبعد سنة طلب إحالته على التقاعد فأجيب إلى طلبه في أواخر سنة ١٤١٧هـ

ومن مؤلَّفات الشَّيْخ عبد الله بن محمَّد بن زاحم رَحِمَهُ اللَّهُ:

كتاب خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد ﷺ.

كتاب فضل العلم والقضاء.

تراجم قضاة المدينة النبوية الشريفة من عام ٩٦٣هـ حتى عام ١٤١٨هـ.

توفي الشيخ -عبدالله ابن زاحم- يوم الاثنين، الثالث من ذي القعدة، عام ١٤٢٣هـ، ودفن في مقبرة بقيع الغرقد.

ثانيًا: تعريف موجز بكتاب خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد ﷺ، للشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله.

يحتوي الكتاب على الخطب التي ألقاها الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله على منبر مسجد رسول الله ﷺ، والكتاب يقع في ستة أجزاء، رتَّبَ الشيخ رحمه الله الخطب فيه على الأبواب في الأجزاء الأربعة الأولى، فجعل الجزء الأول في بابين: الأول: في الإيمان، والثاني: في الاعتصام والطاعة، والجزء الثاني في بابين أيضًا: الأول: في التفسير، والثاني: في الفضائل، والجزء الثالث في ثلاثة أقسام: القسم الأول: كتاب الصلاة، والقسم الثاني: كتاب الزكاة والقسم الثالث: كتاب الصيام، والجزء الرابع في ثلاثة أبواب: الأول: في الحج، والثاني: في البيوع، والثالث: في الأطعمة، والخطب في الجزأين الخامس والسادس في موضوعات مختلفة، ويذكر الشيخ رحمه الله تاريخ إلقاء الخطبة بعد العنوان.

المبحث الأول

موضوعات خطب تفسير الآية من القرآن الكريم

في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله

ويمكن تقسيم موضوعات خطب تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله إلى الآتي:

أولًا: خطب العقيدة.

وعدد الخطب في هذا النوع (٣) خطب هي:

الخطبة الأولى: تفسير الآية (٢٥٥) من سورة البقرة، آية الكرسي[١].

الخطبة الثانية: خطبة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢].

الخطبة الثالثة: تفسير الآية (٥٨) من سورة الذاريات ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٣].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٨٦).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٦٨).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٧٩).

ثانيًا: خطب آيات الأحكام.

وعدد الخطب في هذا النوع (١٣) خطبة هي:

الخطبة الأولى: تفسير الآية (١٤٤) من سورة البقرة ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[١].

الخطبة الثانية: تفسير الآية (٩٧) من سورة آل عمران ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[٢].

الخطبة الثالثة: تفسير الآية (١٨٣) من سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣].

الخطبة الرابعة: تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[٤].

الخطبة الخامسة: تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة في الحج ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[٥].

الخطبة السادسة: تفسير الآية (٢٢٢) من سورة البقرة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[٦].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٥).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٩).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٤٩).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٦٨).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٧٣).
(٦) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٧٥).

الخطبة السابعة: خطبة تفسير الآية (٢٨٢) من سورة البقرة، آية الدَّين[١].

الخطبة الثامنة: خطبة تفسير الآية (٧) من سورة النساء آية المواريث ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[٢].

الخطبة التاسعة: تفسير الآية (١٧٦) من سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[٣].

الخطبة العاشرة: تفسير الآية (٩٢) من سورة النساء ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾[٤].

الخطبة الحادية عشرة: تفسير الآية (٣) من سورة المائدة﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾[٥].

الخطبة الثانية عشرة: من تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ شكر الله على نعمة الإسلام[٦].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٩٤).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٠٤).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١١٨).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢٨).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٦٠).
(٦) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٦٥).

الخطبة الثالثة عشرة: تفسير الآية (٣٨) من سورة المائدة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

ثالثًا: خطب الفضائل، والآداب الاجتماعية، والرقائق.

وعدد الخطب في هذا النوع (٢٥) خطبة هي:

الخطبة الأولى: تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢].

الخطبة الثانية: تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[٣].

الخطبة الثالثة: خطبة تفسير آية الإنفاق في سورة البقرة (آية ٢٦١) القرض الحسن ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٤].

الخطبة الرابعة: تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٥].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٦٧).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٤٢).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٥٨).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد(٢/ ٨٣).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢٠).

الخطبة الخامسة: تفسير الآية(١١٤) من سورة النساء الحث على الإصلاح ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[١].

الخطبة السادسة: تفسير الآية(١١٤) من سورة النساء ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[٢].

الخطبة السابعة: تفسير الآية (١٣٥) من سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٣].

الخطبة الثامنة: تفسير الآية (١١٨) من سورة التوبة: ساعة العسرة والثلاثة الذين خلفوا[٤].

الخطبة التاسعة: تفسير الآية (٩٠) من سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٥].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٤٤).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٤٧).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٥٣).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٧٥).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٩٤).

الخطبة العاشرة: تفسير الآية (٩) من سورة الإسراء ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[١].

الخطبة الحادية عشرة: من معنى الآية (٩) من سورة الإسراء إقامة الحدود من الهداية[٢].

الخطبة الثانية عشرة: تفسير الآية (٢٣) من سورة الإسراء ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٣].

الخطبة الثالثة عشرة: تفسير الآية (٣١) من سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، في مسألة السفور والحجاب[٤].

الخطبة الرابعة عشرة: تفسير الآية (٧٢) من سورة الأحزاب جميع الحقوق والعقود والعهود أمانات[٥].

الخطبة الخامسة عشرة: تفسير الآية (٦٧) من سورة الزمر ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٧][٦].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٠٥).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢١٣).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢١٧).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٤٢).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٦٢).
(٦) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٥٤).

الخطبة السادسة عشرة: خطبة الإيمان والاستقامة تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠][١].

الخطبة السابعة عشرة: خطبة تفطر السماوات واستغفار الملائكة لمن في الأرض، خطبة في تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥][٢].

الخطبة الثامنة عشرة: تفسير الآية (١١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ من سورة الحجرات التحذير من السخرية واللمز والتنابز[٣].

الخطبة التاسعة عشرة: تفسير الآية (٢٠) من سورة الحديد ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[٤].

الخطبة العشرون: خطبة إنما الحياة الدنيا لعب ولهو[٥].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٠٨).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٠٠).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٦٩).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٨٩).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٢٩).

الخطبة الحادية والعشرون: تفسير الآية (٢٥) من سورة الحديد ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ العدل[١].

الخطبة الثانية والعشرون: تفسير الآية (٢١) من سورة الحشر ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ عظمة القرآن وعلو شأنه[٢].

الخطبة الثالثة والعشرون: تفسير الآية (١٤) من سورة التغابن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[٣].

الخطبة الرابعة والعشرون: تفسير الآية (٨) من سورة التحريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨][٤].

الخطبة الخامسة والعشرون: تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦][٥].

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٧٩).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣١٣).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٢١).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٢٧).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٢).

المبحث الثاني

طريقة تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله

ويمكن تقسيم طريقة تفسير الآية من القرآن الكريم في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله إلى الآتي:

أولًا: طريقة استيعاب التفسير من خلال خطبتي الجمعة.

ويمكن تقسيمها إلى الأقسام الآتية:

القسم الأول: الاقتصار على تفسير الآية في الخطبة الأولى، وتكون الخطبة الثانية في موضوع آخر.

والخطب على هذا القسم هي:

خطبة تفسير الآية (٢٥٥) من سورة البقرة، آية الكرسي[(١)]، في الخطبة الأولى، وفي الخطبة الثانية: اختيار المدرس الصالح.

وفي خطبة تفسير الآية (٩٢) من سورة النساء[(٢)] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ في الخطبة الأولى، وخطبة إفشاء السلام في الخطبة الثانية.

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٨٥).

(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢٨).

وفي خطبة تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء[١] ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ في الخطبة الأولى، وفي الخطبة الثانية: المساجد بيوت الله.

القسم الثاني: تفسير آية مستقلة في كل خطبة من الخطبتين.

والخطب في هذا القسم على نوعين:

النوع الأول: أن تكون الآية المفسرة في الخطبة الثانية تلي الآية المفسرة في الخطبة الأولى من الترتيب.

والخطب على هذا النوع هي:

خطبة تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾[٢]، والخطبة الثانية تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة في الحج[٣] وهي قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ فالآية التي قبلها بينت أحكام الحج، وهذه الآية بينت سلوك الحج.

وخطبة الإيمان والاستقامة[٤]، في الخطبة الأولى تفسير قوله تعالى:

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢٠).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٦٨).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٧٣).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٠٨).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]، وفي الخطبة الثانية في بيان معنى قول الملائكة للمستقيمين ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[1].

النوع الثاني: أن تكون الآية المفسرة في الخطبة الثانية مغايرة للآية التي فسرها الشيخ رحمه الله في الخطبة الأولى.

فقد فسَّر الشيخ رحمه الله في إحدى خطبه: في الخطبة الأولى الآية (١٤٤) من سورة البقرة ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2]، وفي الخطبة الثانية: فسّر الآية (٩٧) من سورة آل عمران﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾[3]، ومعلوم التغاير التام بين موضوع الخطبتين.

وفسّر أيضًا رحمه الله في خطبة أخرى في الخطبة الأولى: الآية (٢٢٢) من سورة البقرة﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾[4]، وفي الخطبة الثانية: فسَّر آية الإنفاق في سورة البقرة (آية ٢٦١) ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ القرض الحسن[5]، ومعلوم التغاير التام بين موضوع الخطبتين.

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢١٤).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٥).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٩).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٧٥).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٨٣).

القسم الثالث: جعل تفسير الآية الواحدة مقسومًا بين الخطبتين.

والخطب على هذا القسم هي:

خطبة تفسير الآية (١٨٣) من سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[١] في الخطبة الأولى، والخطبة الثانية: تتمة تفسير آية الصيام النية في الصيام[٢].

وخطبة تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[٣] في الخطبة الأولى، والخطبة الثانية تتمة تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة يسروا ولا تعسروا[٤] وصية للذين يقومون على مصالح المسلمين.

وخطبة تفسير الآية (٣) من سورة المائدة ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾[٥]، والخطبة الثانية من تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ شكر الله على نعمة الإسلام[٦].

وخطبة تفسير الآية (٩) من سورة الإسراء[٧] وهي قوله تعالى:

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٤٩).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٥٥).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٥٨).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٦٦).
(٥) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٦٠).
(٦) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٦٥).
(٧) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٠٥).

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ في الخطبة الأولى، والخطبة الثانية من معنى الآية (٩) من سورة الإسراء إقامة الحدود من الهداية[١].

وخطبة تفسير الآية (١٤) من سورة التغابن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾[٢] في الخطبة الأولى، والخطبة الثانية قد يكون الزوج عدوًّا لزوجه[٣] في بيان معنى العداوة بين الزوجين.

ثانيًا: أسلوب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية من القرآن الكريم.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة المجلد الثاني من الخطب أنه يتكون من قسمين: الأول منهما: تفسير آيات من القرآن الكريم على أسلوب الخطابة[٤].

ويمكن إيضاح أهم معالم هذا الأسلوب من خلال النقاط الآتية:

الأولى: مقدمة الخطبة وإعلام المستمع بأن الخطبة ستكون في تفسير آية من القرآن الكريم. بأسلوب فيه تشويق، وإثارة اهتمام المصلين، وشد انتباههم.

وقد استخدم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عددًا من الألفاظ والأساليب في ذلك ومنها:

قوله: "فتأملوا أيها المسلمون هذه الآية من آخر سورة الأحزاب

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢١٣).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٢١).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٢٥).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٧).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] "[(١)].

وقوله: "ثم إني أوصيكم بتأمل هذه الآية الكريمة من سورة المائدة وتدبر معانيها، وتفهم مدلولاتها، والنظر في مصالحها للفرد والجماعة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]"[(٢)].

وقوله: "اسمعوا نداء الخالق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]"[(٣)].

وقوله: "فَهَلُّم بنا نستمع إلى آية من سورة النساء تشتمل على عشرة أحكام، ونتأمل كيف ربط القرآن تلك الحقوق بالحق الأساسي الذي يدور عليه التشريع، وهو العقيدة والتوحيد، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]"[(٤)].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٦٢).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٦٨).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٢٨).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢١).

وقوله: "أرجوكم رجاءً أخويًا خاصًّا أن تجمعوا سمعكم وقلوبكم لاستماع هذه الآية من سورة النساء، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]"[(١)].

وقوله: "فتعالَ أخي المسلم نتلو هذه الآية من سورة الزمر ونتأمل معانيها، ونستحضر عظمة الله وقدرته فيها؛ فلعل الله أن يفتح بصائرنا لفهمها وأن يرقق قلوبنا بما اشتملت عليه من الهول العظيم والوعد الصادق، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٧]"[(٢)].

وقوله: "اسمعوا قوله سبحانه في سورة الانفطار في جزء عَمَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]"[(٣)].

وقوله: "ثم إنني أذكركم بآية من سورة الحشر تخبر عن صفة من صفات القرآن وتنوه بعظمته وعلو قدره، ومنها تفهم قسوة قلوب بني آدم، فهيَّا بنا نتأملها

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٥٤).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٥٥).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٢).

ونتفهم معانيها، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]"[(١)].

وقوله: "فبين أيدينا آية من سورة البقرة موجزة اللفظ واسعة المعنى شاملة المدلول، تقرر قاعدة من قواعد التعامل بالأموال، وترسم النظام الذي يجب أن يكون عليه الترافع إلى القضاء، هي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨] "[(٢)].

وقوله: "فإن أمامنا الآن الآية الخامسة من سورة الشورى حبَّذا لو تأملنها وتدبرناها، وحاولنا فهم شيء من معناها، هي قوله ﷻ: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]"[(٣)].

وقوله: "فإن أمامنا الآن آية فيها بشارة للمؤمنين بشارة مفرحة مؤنسة، وهي من سورة فصلت، السورة الثانية من السور السبع التي بُدأت بالحاء والميم (حم)، وهي أرحب آية كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[(٤)]: جمعت كمال الإسلام، هي

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣١٤).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٥٨).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٠٠).
(٤) أخرجه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور للسيوطي(٧/ ٣٢٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]"[(١)].

وقوله: "وأمامنا الآن آية من آخر سورة الذاريات تحتوي على حقيقة هائلة لا تستوي حياة البشر بدونها سواء كانت حياة فرد أو حياة جماعة، أو حياة الإنسانية كلها، تدل على معاني متعددة، تحدد وظيفة ابن آدم في هذا الوجود، هي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]"[(٢)].

وقوله: "فمن آيات التشريع والأحكام آية محكمة من سورة البقرة تحمل طائفة من أحكام الحج، هذه الآية العظيمة مبدوءة بالإخلاص لله، ومختومة بالإخلاص لله، ومختومة بالوعيد والتهديد لمن خالف أوامر الله، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ [البقرة: ١٩٦]"[(٣)].

وقوله: "فإن في كتاب الله ﷻ آية جليلة عظيمة عميقة الدلالة واضحة

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٠٨).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٦٨).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٦٨).

المعاني، محكمة التنزيل، تشتمل على عشر جمل وعلى عدد من صفات الله، من تحصَّن بها حفظه الله، ومن استشفى بها شفاه الله، قوة لمن عمل بها، وهدى لمن فقه معناها، هي أعظم آية في كتاب الله، إنها آية الكرسي، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] "[(١)].

وقوله: "ففي القرآن الكريم آية جمعت محاسن الأخلاق وقواعد الدين، أمرت بثلاثة أشياء، ونهت عن ثلاثة، لها تأثير بليغ في القلوب والأحاسيس، وهي أجمع آية في القرآن الكريم لخير يمتثل، ولشر يجتنب، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] "[(٢)].

وقوله: "فإن في القرآن الكريم آية تعالج جانبًا اجتماعيًّا عائليًّا قد يغفل عنه بعض الناس، ولولا أن القرآن الكريم أخبرنا بما دلَّت عليه هذه الآية لما انتبه له كثير من الناس، هذه الآية في آخر سورة التغابن، هي قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤] "[(٣)].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٨٦).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٩٥).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٣٢١).

وقوله: "إننا نقرأ كتاب الله الكريم ونسمعه، وتمر علينا آية عظيمة كثيرة الخير والبركة، قد اشتملت على أحكام وتوجيهات وإرشادات؛ لتوثيق الحقوق وإثباتها؛ محافظة عليها ومحافظة على صدق المعاملة وصلاحها، ولدفع الشقاق والخلاف عن المسلمين، وإبقاء للإخوة الإسلامية والمحبة والمودة بينهم، إنها آية الدَّين في سورة البقرة، هي أطول آية في كتاب الله، ذكرت بعد الآية التي حذَّر الله فيها من الربا وعواقبه ونتائجه في الآخرة والأولى، فجاءت آية الدَّين لتوجيه العباد إلى المعاملات الصحيحة التي لا ضرر فيها ولا فساد بل كلها خير وسداد، إنها آية كريمة كلما تدبرها المسلم ظهر له بعض أسرارها وأحكامها، فقد اشتملت على أحكام كثيرة، وفوائد جمة، وتوجيهات وإرشادات قيمة، فَهَلُّم نتأمل هذه الآية ونتدبر ونتفهم ما ظهر لنا من معانيها وأحكامها "[(١)].

وقوله: "فإن آخر ما نزل من القرآن الكريم آية في سورة المائدة، تكلم الرب تعالى عن نفسه، وأخبر بأنه أكمل لأمة محمد ﷺ دينهم، وأنه أتم عليهم نعمته، وأنه رضي لهم الإسلام دينا، فأكمل بها الدين وأَتَمَّ بها النعمة "[(٢)].

وقوله: "ففي سورة الإسراء وصف للقرآن الكريم وثناء عليه، صفة شاملة، تميز بها القرآن، ولا تصلح إلا للقرآن﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]"[(٣)].

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٩٥، ٩٤).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٦١، ١٦٠).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٠٦).

وقوله: "القرآن الكريم هو كلام العليم الخبير، ينظم حياة المسلم، ويعالج مشكلاتها والطوارئ عليها، يعيش مع المسلم في خصائص ذاته لا يهمل منها شيئًا، وينظم لقاءه بزوجه في فراشه، فهيَّا بنا نتأمل قول الخالق تبارك وتعالى من سورة البقرة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]"[(١)].

وقوله: "فحين تقاس الدنيا بمقاييسها وتوزن بموازينها تظهر في الحس، وتبدو في العين أمرًا عظيمًا ضخمًا هائلًا، ولكنها حين تقاس بمقاييس الشريعة وتوزن بموازين الآخرة تبدو شيئًا زاهدًا تافهًا حقيرًا، وها هو الذي خلق الدنيا وخلق الآخرة، يضع الدنيا في كفة والآخرة في الكفة الثانية، ويخبرنا عن نتيجة الوزن ورقم الميزان، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] "[(٢)].

الثانية: محتوى الخطبة من تفسير القرآن الكريم.

من أهم ما اشتمل عليه تفسير الآية من القرآن الكريم في الخطبة ما يلي:

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٧٦).

(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٩٠، ٢٨٩).

أولًا: بيان المعنى الإجمالي[1] للآية، ثم الشروع في تحليل جملها وألفاظها.

قال رحمه الله في خطبة تفسير الآية (١١) من سورة الحجرات في التحذير من السخرية واللمز والتنابز، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾: "وقد اشتملت الآية على جانب من جوانب التربية الاجتماعية، وحذرت من ثلاث صفات، هي رواسب الجاهلية، وهي السخرية، واللمز، والنبز، والإسلام يحث على تأليف القلوب ويحذر من الخلاف "[2].

ثم أفاض في بيان كل صفة من الصفات الثلاث.

ثانيًا: ذكر المناسبات بين الآيات.

من ذلك أنه رحمه الله جعل الخطبة الأولى في خطبة تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والخطبة الثانية في تفسير الآية التي تليها وهي قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال في مطلعها: "فلمَّا بينت الآية السابقة عددًا من أحكام الحج، تلتها آية تبين السلوك

---

(١) يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها. ينظر: فصول في أصول التفسير (ص ٣٣).

(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٧٢).

الذي يجب على الحاج أن يتخلق به، وتأمره بالابتعاد عن نزعات النفس، وذميم الأخلاق ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[1] "[2].

ثالثًا: بيان أوجه ارتباط جمل الآية بعضها مع بعض.

فقال رحمه الله في خطبة تفسير الآية (٢٣) من سورة الإسراء ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ لما نهي الولد عن الإثارة والإيذاء بما يتنافى مع الإحسان، أمر بما يقتضيه الإحسان، وهو القول السديد الذي يدل على الاحترام والتوقير والإجلال، وحفظ المعروف والاعتراف بالجميل[3]، ومما يدل على أنَّ الوالدين مقدمان في البيت محبوبان لدى الأسرة "[4].

---

(١) لم أقف على أحد من المفسرين ذكر هذه المناسبة، وهي استنباط بديع من الشيخ - رحمه الله -. وقال أبو حيان - رحمه الله -: "لما أمر الله تعالى بإتمام الحج والعمرة، وكانت العمرة لا وقت لها معلومًا؛ بينَّ أن الحج له وقت معلوم، فهذه مناسبة هذه الآية لما قبلها" البحر المحيط (٢/ ٢٧٦).

(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٧٣).

(٣) قال ابن كثير - رحمه الله -: "ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: لينا طيبًا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم" تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٤)، وينظر: التفسير الكبير للرازي (٢٠/ ٣٢٦).

(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٢٠).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾: " وكما ربط أول الآية بالله، ربط آخرها بالله[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ "[2].

رابعًا: بيان أسرار التعبير القرآني.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة تفسير الآية (١٨٨) من سورة البقرة ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

تأمَّلوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ لمَّا كان أغلب مقاصد الإنسان في تحصيل المال والحرص عليه هو توفير الملذات والمشتهيات،

---

(١) قال ابن عاشور – رَحِمَهُ اللَّهُ–: "وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ تذييل لجملة الأمر بالإحسان إلى من سماهم بذم موانع الإحسان إليهم الغالبة على البشر" التحرير والتنوير (٥/ ٥١).

وقال السعدي – رَحِمَهُ اللَّهُ–: "فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ أي: معجبا بنفسه متكبرًا على الخلق" تيسير الكريم الرحمن (ص١٧٧).

(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢٥).

وأهمها وفي مقدمتها شهوة البطن وهي تحصل بالأكل، نصَّت الآية الكريمة على النهي عن الأكل، والمراد النهي عن جميع التصرفات الباطلة كسبًا وصرفًا وانتفاعًا، سواء بالأكل أو بغيره[(١)] كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠] "[(٢)].

وقال رحمه الله في خطبة تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾: "وخص الله الفخر والاختيال هنا؛ لأنهما صفتان قد تحملان صاحبهما على الأنفة والتساهل في أداء تلك الحقوق[(٣)]، فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأدوا الحقوق لأهلها، وتأدبوا بأدب الإسلام، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] "[(٤)].

---

(١) قال ابن عاشور - رحمه الله-: "والأكل حقيقته إدخال الطعام إلى المعدة من الفم، وهو هنا استعارة للأخذ بقصد الانتفاع دون إرجاع؛ لأن ذلك الأخذ يشبه الأكل من جميع جهاته" التحرير والتنوير (٢/ ١٨٧).

(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٦٠، ٥٩).

(٣) قال القرطبي - رحمه الله-: "وخص هاتين الصفتين بالذكر هنا؛ لأنهما تحملان صاحبيهما على الأنفة من القريب الفقير والجار الفقير وغيرهم ممن ذكر في الآية فيضيع أمر الله بالإحسان إليهم" الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣١٨).

(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢٥).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]: "والتعريف في الإنسان تعريف الجنس؛ إذ ليس المراد إنسان معين، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والمراد بالعموم الذين أنكروا البعث وقارفوا المعاصي، ولفظة ﴿مَا﴾ في قوله سبحانه: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ استفهامية عن الشيء الذي غرَّه، والغرور الإطماع بما يتوهمه المغرور نافعًا وهو في الحقيقة ضار[(١)]"[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]: " وتقديم الجن على الإنس في الآية للاهتمام بهذا الخبر؛ لأن المشركين كانوا يعبدون الجن ليعلموا أنَّ الجن عبادٌ لله، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦][(٣)]"[(٤)].

خامسًا: الاستنباط وذكر الهدايات القرآنية من الآية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة تفسير الآية (٢٨٢) من سورة البقرة، آية الدَّين، عند كلامه على قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ من الآية: " ويؤخذ من هذا: أن الشاهد إذا نسي الشهادة ثم تذكَّرها إما بمشاهدة

(١) هذا الكلام نقله الشيخ – رَحِمَهُ اللَّهُ – باختصار من التحرير والتنوير لابن عاشور(٣٠/ ١٧٤).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٦).
(٣) هذا الكلام نقله الشيخ – رَحِمَهُ اللَّهُ – من التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٧/ ٢٨).
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٧٠).

خطه، أو بتذكيره جاز له أداؤها وجاز قبولها إذا توفرت فيه صفات العدالة[1]"[2].

وقال رحمه الله في خطبة تفسير الآية (٢٥٥) من سورة البقرة، آية الكرسي عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ من الآية: "كل ما يحصل للإنسان من علم أيًّا كان نوعه إنما هو بتعليم الله له: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فكل ما نشاهده من اكتشافات وصناعات ومعرفة لبعض خصائص هذا الكون إنما هو بتعليم الله، وما خفي على الإنسان أكثر وأكثر، فالإنسان لا يعلم كثيرًا من خصائص نفسه، ومهما بلغ من العلم والمعرفة والاكتشافات، فإنه لا يعلم سر حياته ولا سر موته، ولا حقيقة روحه ولا أجله، وما يدري ماذا يكسب غدًا، وما يدري بأي أرض يموت، ولا يدري هل سينجب أولادًا أم يكون عقيمًا، ولا يدري ذكورًا أم إناثًا، أم يزوج ذكورًا وإناثًا؟ فلا يعلم شيئًا من ذلك إلا بعد وقوعه، فاتقوا الله عباد الله"[3].

---

(١) قال ابن حجر - رحمه الله -: "قال المهلب: وفي الآية أن الشاهد إذا نسي الشهادة فذكَّره بها رفيقه حتى تذكرها أنه يجوز أن يشهد بها" فتح الباري (٥/ ٢٦٦).

(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٩٧).

(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٩٠).

سادسًا: التعامل مع كلام المفسرين وكتبهم.

وبيانه من خلال الآتي:

١- تلخيص أقوال المفسرين في الآية، والجمع بينها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة تفطر السماوات واستغفار الملائكة لمن في الأرض، خطبة في تفسير قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

فإن أمامنا الآن الآية الخامسة من سورة الشورى حبَّذا لو تأملنها وتدبرناها، وحاولنا فهم شيء من معناها، هي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]، فكأني بإنسان يقول: ما هو سبب قرب السماوات من التفطر؟

ألخص لكم ما قاله المفسرون -رحمة الله-عليهم[(١)].

فأمَّا سبب مقاربة السماوات للتفطر في هذه الآية، فللعماء فيه وجهان كلاهما يدل عليه القرآن.

الأول: تكاد السماوات يتفطرن خوفًا من الله وهيبته وإجلالًا وتقديسًا

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي(٧/ ١٦١).

بدليل آخر الآية قبلها: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤]؛ فالسماوات في غاية الخوف من الله وفي غاية الهيبة والإجلال، بخلاف بني آدم، فإنهم لم يقدروا ربهم حق قدره، ولم يعظموه كما يليق بجلاله، ولم يقدسوه كما ينبغي له، بل هم غافلون ساهون لاهون في دنياهم عن واقع حالهم.

الوجه الثاني لسبب مقاربة السماوات من التفطر: قيل؛ لعظم ذنوب بني آدم، فجعلوا لله ولدًا، وجعلوا له ندًّا وشريكًا، ويدل على هذا قوله سبحانه في سورة مريم: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

قال أهل التأويل: غاية ما في هذا الوجه أن آية الشورى فيها إجمال في سبب تفطر السماوات، وقد جاء موضحًا في سورة مريم.

وهنا يرد استفهام عن معنى الفوقية في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الشورى: ٥]، فعلى القول الأول ظاهر؛ لأن أعظم الآيات الدالة على جلال وعظمته فوق السماوات، وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المتحركة بالتسبيح والتقديس حول العرش، وآثار ملكوت الملك العظمى.

وأما على القول الثاني: بأن سبب مقاربة السماوات للتفطر كلمة الكفر

التي قالها بنو آدم وافتراؤهم على الله، وهي جاءت من تحت السماوات.

فقال العلماء: لأن افتراء بني آدم أثر على فوقي السماوات فكِدْن أن يتفطرن من فوقهن"[(١)].

٢- التعامل مع كتب التفسير.

وهذا التعامل على أنواع:

النوع الأول: النقل عن كتب التفسير.

وكتب التفسير التي صرحَّ الشيخ بالنقل عنها رَحِمَهُ اللَّهُ هي:

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو أكثر الكتب المنقول عنها.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في خطبة تفسير الآية (٢٥٥) من سورة البقرة، آية الكرسي قال رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق[(٢)]"[(٣)].

٢- جامع البيان للطبري رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٠٠-٢٠٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم(١/ ٦٧٨).

(٣) خطب الجمع والأعياد (٢/ (٢/ ٨٧). وينظر: (٢/ ٧٠)، (٢/ ٨٠)، (٢/ ٨٧)، (٢/ ١٢٣)، (٢/ ١٣٣)، (٢/ ١٥٥)، (٢/ ٢٩٠)، (٢/ ٢٩٩)، (٢/ ٣١٤)، (٦/ ٢٠٩)، (٦/ ٢٦٩)، (٦/ ٢٧٥).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في خطبة تفسير الآية (٢٥٥) من سورة البقرة، آية الكرسي قال رحمه الله: "وقال ابن جرير رحمه الله: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»"[(١)][(٢)][(٣)].

٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي رحمه الله.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في خطبة تفسير الآية (٣٦) من سورة النساء ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾.

قال رحمه الله: "قال القرطبي: أجمع العلماء على أن هذه الآية محكمة ليس منها شيء منسوخ"[(٤)][(٥)].

٤- التفسير الكبير للرازي رحمه الله.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش ص(٤٣٢) برقم (٥٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات(٢/ ٣٠٠)، برقم (٨٦٢) وصححه الألباني في السلسة الصحيحة(١/ ٢٢٣)، برقم (١٠٩).

(٢) جامع البيان للطبري(٤/ ٥٣٩).

(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٩٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن(٥/ ١٨٠).

(٥) خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٢١). وينظر: (٢/ ٨١)، (٢/ ١٢٣)، (٢/ ١٥٦).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في خطبة تفسير الآية (١٣٥) من سورة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

قال رحمه الله: "قال الفخر الرازي: لما تقدم ذكر النساء والنشوز والمصالحة بينهن وبين الأزواج عقبه بالأمر بالقيام بأداء حقوق الله تعالى وبالشهادة لإحياء حقوق الله، وبالجملة فكأنه قيل: إن اشتغلت بتحصيل مشتهياتك كنت لنفسك لا لله، وإن اشتغلت بتحصيل مأمورات الله كنت لله لا لنفسك، ولا شك أن هذا المقام أعلى وأشرف[(١)]"[(٢)].

النوع الثاني: إحالة المستمعين للرجوع إلى كتب التفسير أحيانًا.

قال رحمه الله في خطبة تفسير الآية (٣١) من سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾،: "هذا ملخص ما ذكره المحققون من العلماء، ومن أراد التفصيل وزيادة إيضاح؛ فليراجع أضواء البيان في المجلد السادس "[(٣)].

النوع الثالث: ما نقله عن المفسرين دون تصريح بالنقل عنهم أثناء الخطبة، وأحال على كلامهم في الحاشية بعد طبع الخطب.

---

(١) التفسير الكبير للرازي(١١/ ٢٤٠).

(٢) خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٥٦). وينظر: (٢/ ١١٦)، (٢/ ١٢٣)، (٢/ ٢٩٩).

(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٤٨).

قال رحمه الله في خطبة تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]: "اسمعوا قوله سبحانه في سورة الانفطار في جزء عَمَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] اقرؤا السورة من أولها﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] فإن أول السورة بمثابة المقدمة لهذه الآية؛ لتهيئة نفس السامع لتلقي الموعظة لأنها تكون أشد تغلغلًا في القلب"[(١)].

وأحال في الحاشية على كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور رحمه الله[(٢)].

الثالثة: تكرار خطبة تفسير الآية عند الشيخ رحمه الله.

قام الشيخ رحمه الله بتكرار تفسير آيتين في خطبتين مختلفتين.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤]، والخطبتان اللتان ألقاهما الشيخ رحمه الله في تفسير الآية هما:

خطبة من تفسير الآية(١١٤) من سورة النساء الحث على الإصلاح[(٣)].

وخطبة تفسير الآية(١١٤) من سورة النساء[(٤)].

والفرق بين الخطبتين: أن خطبة من تفسير الآية(١١٤) من سورة النساء الحث

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٢).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير(٣٠/ ١٧٣).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٤٤). ألقيت في عام ١٣٩٩هـ.
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٤٧). ألقيت في ١٥/ ٢/ ١٤٠٢هـ.

على الإصلاح كانت في الخطبة الثانية بعد خطبة تفسير الآيات (١٠٥-١١٢) من سورة النساء[١] في الخطبة الأولى، وهي ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٠٥-١١٢].

وقد قام الشيخ بالربط بين الخطبتين بأسلوب جميل فقال رحمه الله في مطلع الخطبة الثانية: "بعد أن بين القرآن في الآيات التي سمعنا أولًا، وبعد أن ختمها بمنته على رسوله ﷺ بحمايته وعصمته من كيد المفسدين، وذكر فضله عليه بإنزال الكتاب والحكمة، وتعليمه ما لم يكن له يعلم[٢]، وهي منة الله على جميع أمة هذا الرسول الكريم -عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وخاصة على من آتاه الله العلم ووفقه للصواب والعمل به، بعد هذا قال تبارك وتعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٤]، فهذه الآية مرتبطة بما قبلها، فهي تنهى عن النجوى، وعن التآمر على الغدر والخيانة، وعن تبييت ما لا يرضى الله من القول[٣]، وتبين أن هذا لا خير فيه، ثم بَيَّنَتْ الطريق

---

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٣٩).

(٢) يشير - رحمه الله- إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[النساء: ١١٣].

(٣) قال الرازي- رحمه الله-: "في قوله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ واعلم أن هذه إشارة إلى ما كانوا يتناجون فيه حين يبيتون ما لا يرضى من القول" التفسير الكبير (١١/ ٢١٧).

الذي يجب أن يسلكه الإنسان، وهو التناجي في فعل الخير والمعروف والإصلاح بين الناس، ثم يقرر جزاء هذه النجوى الطيبة وثوابها عند الله إذا أريد بها وجه الله وطلب مرضاته"[(١)].

وأمَّا خطبة تفسير الآية(١١٤) من سورة النساء[(٢)] فكان تفسير الآية في الخطبة الأولى، وبدأها بمطلع جميل فقال رحمه الله: " أيها المسلمون: يجب أن نقول الواقع، وأن نعترف بالحقيقة، وأن نترك المغالطات لأنفسنا وأهلنا، إذا نظرنا إلى كلام الناس – سواء جهارًا أو إسرارًا– نجد ما يكدر النفس، فلو سجل ما يقال في مجلس واحد لملأ عشرات الأشرطة، ولو دُوِّن لبلغ مجلدات، لكن أكثر الكلام لا خير منه ولا بركة فيه، بل لو أعيد الكلام على مسمع صاحبه لتعجب مما صدر منه كثرة ونوعية، ولو أراد أن يُلَخِّص منه فائدة لم يجد شيئًا مما ينفعه في دينه أو دنياه، والإسلام لم يترك جانبًا من جوانب حياة الإنسان إلا أخبر بما ينفع ورغَّب، وحذَّر مما لا ينفع، قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٤]، فقد أشارت الآية الكريمة إلى ثلاثة أنواع من كلام الخير يندرج تحتها كل الأفعال الخيرة[(٣)]". ثم أفاض رحمه الله في بيان هذه الأنواع.

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٤٥).
(٢) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٤٧).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٤٨).

وفي الخطبة الثانية، عنون لها بـ: كل سلامى في ابن آدم عليه صدقة[١].

وهذا من الربط الجميل بينها وبين الخطبة الأولى؛ حيث أورد فيها حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[٢].

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]، والخطبتان اللتان ألقاهما الشيخ رحمه الله في تفسير الآية هما:

خطبة تفسير الآية (٢٠) من سورة الحديد ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾[٣].

وخطبة إنما الحياة الدنيا لعب ولهو[٤].

وكلا الخطبتين في بيان الخصال الخمسة التي يستفيدها ويطلبها المجتهدون في طلب الدنيا وهي: اللعب، واللهو، والزينة، والتفاخر، والتكاثر في

(١) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ١٥١).
(٢) أخرجه البخاري(٣/ ١٨٧)، ح(٢٧٠٧)، ومسلم (٢/ ٦٩٩)، ح (١٠٠٩).
(٣) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٢/ ٢٨٩). ألقيت في ١٦/ ٧/ ١٤٠٨هـ.
(٤) ينظر: خطب الجمع والأعياد (٦/ ٢٢٩). لم يذكر تاريخ إلقاءها.

الأموال والأولاد، ثم إشارة إلى بيان المراد بالمثل المحسوس للدنيا في الآية.

وهذا في الخطبة الأولى من كلا الخطبتين، وأمَّا الخطبة الثانية من كلا الخطبتين: فهي بيان أن الدنيا ليست دار إقامة.

الخاتمة

أحمد الله تعالى الذي مَنَّ علي بإتمام هذا البحث، وفيما يلي أوجز ما توصلت إليه من نتائج:

١ـ بلغ عدد خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في تفسير الآية من القرآن الكريم (٤١) خطبة، ويمكن تقسيمها من حيث موضوعات الخطبة من خلال الجدول الآتي:

نوع الخطب	عدد الخطب
خطب العقيدة	٣
خطب آيات الأحكام	١٣
خطب الفضائل، والآداب الاجتماعية، والرقائق	٢٥
المجموع	٤١

٢- يمكن تقسيم طريقة الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في استيعاب التفسير من خلال خطبتي الجمعة إلى: الاقتصار على تفسير الآية في الخطبة الأولى، وتكون الخطبة الثانية في موضوع آخر، وتفسير آية مستقلة في كل خطبة من الخطبتين، وجعل تفسير الآية الواحدة مقسومًا بين الخطبتين.

٣- يمكن تقسيم الخطب التي فيها تفسير آية مستقلة في كل خطبة من الخطبتين إلى نوعين: النوع الأول: أن تكون الآية المفسرة في الخطبة الثانية تلي الآية المفسرة في الخطبة الأولى من الترتيب، والنوع الثاني: أن تكون الآية المفسرة في الخطبة الثانية مغايرة للآية التي فسرها الشيخ رحمه الله في الخطبة الأولى.

٤- يمكن إيضاح أهم معالم أسلوب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في تفسير الآية من القرآن الكريم من خلال: مقدمة الخطبة وإعلام المستمع بأن الخطبة ستكون في تفسير آية من القرآن الكريم، ومحتوى الخطبة من تفسير القرآن الكريم، وتكرار خطبة تفسير الآية عند الشيخ رحمه الله.

٥- من أهم ما اشتمل عليه تفسير الآية من القرآن الكريم في الخطبة: بيان المعنى الإجمالي للآية، ثم الشروع في تحليل جملها وألفاظها، وذكر المناسبات بين الآيات، وبيان أوجه ارتباط جمل الآية بعضها مع بعض، وبيان أسرار التعبير القرآني، والاستنباط وذكر الهدايات القرآنية من الآية، والتعامل مع كلام المفسرين وكتبهم.

٦- يمكن بيان طريقة الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في التعامل مع كلام المفسرين وكتبهم من خلال خطب تفسير الآية من خلال: تلخيص أقوال المفسرين في الآية، والنقل عن كتب التفسير، وإحالة المستمعين للرجوع إلى كتب التفسير، والنقل عن المفسرين دون تصريح بالنقل عنهم أثناء الخطبة، والإحالة على كلامهم في الحاشية بعد طبع الخطب.

٧- قام الشيخ عبدالله ابن زاحم رَحِمَهُ اللَّهُ بتكرار تفسير آيتين في خطبتين مختلفتين، الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وختامًا: يوصي الباحث بما يلي:

أولًا: أهمية تناول التفسير في خطب الجمعة من الخطباء.

ثانيًا: ضرورة إفراد موضوع القرآن وتفسيره من خلال خطب الجمعة بدراسة أكاديمية مستقلة، تتناول فيها الدراسة حديث الخطباء عن الجوانب المتعلقة بالقرآن الكريم والتي عرض لها الخطباء في خطبهم وتحليل تلك الخطب، وكذلك تناول موضوع التفسير في الخطب بالدراسة التحليلية لكل خطبة.

والله تعالى أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط١، مكتبة السوادي، جدة: ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٣- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سُحنون للنشر والتوزيع، تونس: بدون.

٥- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٦- التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٩- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠- خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد ﷺ (المجلد الثاني)، عبدالله ابن زاحم رحمه الله، ط١، دار المنار، مصر: ١٤١٥هـ.

١١- خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد ﷺ (المجلد السادس)، عبدالله ابن زاحم رحمه الله، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤١٩هـ.

١٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين، ط١، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، بيروت دار ابن كثير، اليمامة: ١٤٠٩هـ.

١٥- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦- العرش وما رُوِي فيه، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق: د. محمد بن خليفة بن علي التميمي ط١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٧- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

١٨- فصول في أصول التفسير أ. د. مساعد الطيار، ط٢، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.

١٩- القضايا الدعوية في خطب الشيخ عبدالله ابن زاحم رحمه الله في المسجد النبوي الشريف دراسة تحليلية، للباحث: عبدالعزيز بن عبدالله بن زاحم، رسالة ماجستير، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ.

Bibliography

1- Al Haashdi, A. (Ed). (1413h). Al Asmaa wa as Sefaat BY Ahmad ibn Ali al Bayahaqi. Makatabat as Sowaadi

2- Abo Zaid, B. (1426h). Adwaa al Bayaan fi Eedaah al Quran bel Quran BY Mohammed al Amen ibn Mohammed al Moktaar ibn Abdul Qaader al Janki ash Shenqeeti. Makkah. Dar Aalaam al Fawaeed

3- Al Mawajood, A. , Moawaad, A. (Ed). (1433h). Al Bahr al Muhit BY Mohammed ibn Youssef. Beruit. Dar al Kotob al Ilmiyah

4- At Tahreer wa at Tanweer BY Mohammed at Taher ibn Aashoor. Tunisia. Dar Sahnoon

5- As Salaamah, S. (Ed). (1420h). Tafseer al Quran al Adeem BY Ismael ibn Amro, ibn Kateer. Ar Riyadh. Dar Tayibah

6- At Tafseer al Kabeer BY Fakhar ad Din Mohammed ibn Omar at Taimi ar Razi. (1421h). Beirut. Dar al Kotob al Ilmiyah

7- Al Lowayhaaq, A. (1426h). Tayseer al Kareem ar Rahman fi Tafseer Kalaam al Manaan BY Abdul Rahman Nasser ad Sa'di. Beirut. Ar Resalah publication

8- At Turki, A. (Ed). (1424h). Jaameea al Bayan an Taweel ay al Quran BY Mohammed ibn Jarir at Tabari. Ar Riyadh. Dar Aalaam al Kotab

9- At Turki, A. (Ed). (1427h). Al Jameea Leahkam al Quran wa al Mobayeen lema tadamanah men as Sunnah wa ay al Forqaan BY Mohammed ibn Ahmad ibn Abi Bakor al Qurtubi. Beirut. Ar Resalah publication

10- Khotab al Joma wa al Aayaad Aolgeyaat ala Minbar Khair al Eebaad BY Abdullah ibn Zaahem (Volume Two). (1415h). Eygpt. Dar al Manaar

11- Khotab al Joma wa al Aayaad Aolgeyaat ala Minbar Khair al Eebaad BY Abdullah ibn Zaahem (Volume Six). (1419h). Al Madinah Al Munnawarah. Makatabat al Olom wa al Hikam

12- At Turki, A. (Ed). (1424h). Ad Dor al Manthoor fi at Tafseer be al Mathoor BY Jalal ad Din Abdul Rahman ibn Abi Bakor as Sayoti. Cairo. Dar al Hajer

13-Selsilat al Ahadeeth as Saheehah wa Shi min Fiqheha wa Fawaediha BY Mohammed Nasser ad Din ibn al Haj Nooh ibn Najate al Ashqodari al Albani. (1416h). Ar Riyadh. Mak'tabat al Ma'aareef publication

14- Al Bagaa, M. (Ed). (1409h). Saheeh al Bukhari BY Muhammad ibn Isma`il al-Bukhari. Beirut. Dar ibn Katheer

15- Abdul albaqi, M. (Ed). Saheeh Muslim BY Muslim ibn al Hajjaj ibn Muslim ibn Ward al Qashiri. Beirut. Dar Eehyaa at Torath al Islami

16- Al Aarsh wa ma Roweyah feeh BY Mohammed ibn Othmaan ibn Abi Shaybah. Ar Riyadh. Makatabat ar Rushd

17- Al Kateeb, M. (1379h). Fatah al Bari Sharah Saheeh al Bukhari BY Ahmad ibn Ali ibn Hajar al Aasqalani. Beirut. Dar al Mareefah

18- Fosol fi Asool at Tafseer BY Mosaaed at Tayaar (PhD). (1423h). Dar ibn Al Jawazi

19- Al Qadaayaa ad Da'aweyah fi Kotab ash Shayikh Abdullah ibn Zaahim (May Allaah have mercy upon him) fi al Masjid an Nabawi ash Shareef: Analytical Study BY Abdul Aziz ibn Abdullah Zaahim (MA Thesis) (1434h). Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University. Dawah Department.